خَشْيَةُ سيدنا محمد

صلى الله عليه وآله وسلم

وخَوْفُهُ مِن الله تعالى

الإمام الشيخ

عبد الله سراج الدين

رحمه الله تعالى ورضي عنه

هذا البحث مقتبس من كتاب
(سيدنا محمد رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم)
من الصفحة ٣٠٦ حتى الصفحة ٣١١

للشيخ الإمام
عبد الله سراج الدين الحسيني
بناءً على توجيهات ولده
المهندس الشيخ
محمد محيي الدين سراج الدين
رحمهما الله تعالى ورضي عنهما

ويمكنك تحميل هذه الأبحاث القيّمة
وتحميل جميع كتب الشيخ الإمام
من موقعه الرسمي والوحيد
WWW.SRAJALDEN.COM
قسم: كتب الإمام
تحميل كتب الإمام وتحميل أبحاث مختارة

مدير الموقع:
الشيخ عبد الله محمد محيي الدين سراج الدين

خشيته ﷺ من الله تعالى وخوفه منه

كان رسول الله ﷺ أشدَّ الناس خشيةً من الله تعالى ، وذلك لأنه أعلمهم بالله تعالى ، والخشية من الله تعالى تكون على حسب العلم به تعالى ، قال الله تعالى : ﴿ إنما يخشى الله مِن عباده العلماءُ . . ﴾ الآية .

وفي (الصحيحين) عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : صنع رسول الله ﷺ شيئاً ترخَّص فيه ، وتنزَّه عنه قوم ، فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فقال : « ما بالُ أقوامٍ يتنزَّهون عن الشيء أصنعه ؟! فوالله إني لأعلمُهم بالله ، وأشدُّهم له خشية » .

١ ـ وفي هذا الحديث : الحثُّ الشديد على الاقتداء بالنبي ﷺ ، والنهي عن التعمُّق .

٢ ـ وفيه ذمُّ التنزُّه عن المباح شكاً في إباحته ، وأن العلم بالله تعالى يوجب اشتدادَ الخشية منه سبحانه ، دون أن يكون هناك إفراط أو تشدُّد في الأعمال ـ كما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى .

٣ ـ وفي هذا الحديث : بيان منه ﷺ وإعلانُ أفضليتِه على جميع

العباد ، بالعلم بالله تعالى ، والخشية من الله تعالى ، وأن الله تعالى قد أعطاه أفضل وأكمل مقام في المعرفة والخشية .

وقد قال العارفون رضي الله عنهم : إن مقام المعرفة بالله تعالى والخشية من الله تعالى إذا أُكْمِلا لصاحبهما ، وانتهى إلى درجة المعرفة حقَّ المعرفة ، والخشية حقَّ الخشية : ظهرت عليه آثارهما ، وصحت له أحكامهما ، كما رُوي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعاً : « لو خِفْتم الله تعالى حقَّ خيفته ، لعلمتم العلم الذي لا جهل معه ، ولو عرفتم الله تعالى حقَّ معرفته لزالتْ لدعائكم الجبال »[1] .

فما ظنك بسيدنا محمد ﷺ الذي نال أعلى مقام في المعرفة بالله تعالى ، وأرفع مقام في الخشية من الله تعالى ؟! ومهما تصوَّرت وقدَّرتَ من آثارهما وأحكامهما فالأمر أعظم من ذلك ، ولا غروَ في ذلك وقد قال الله تعالى : ﴿ وكان فضلُ الله عليك عظيماً ﴾ .

وروى الشيخان عن أنس رضي الله عنه قال : خطب رسول الله ﷺ خطبةً ما سمعتُ مثلَها قطُّ ، فقال :

« لو تعلمون ما أعلم : لضحكتم قليلاً ، ولبكيتم كثيراً » .

فغطّى أصحابُ رسول الله ﷺ وجوههم لهم خنين .

وفي رواية : بلغ رسولَ الله ﷺ عن أصحابه شيءٌ ، فخطب فقال :

« عُرضت عليَّ الجنة والنار ، فلم أرَ كاليوم في الخير والشرّ ، ولو تعلمون ما أعلم : لضحكتم قليلاً ، ولبكيتم كثيراً » .

---

(١) عزاه في (الجامع الصغير) إلى الحكيم الترمذي رامزاً لضعفه .

فما أتى على أصحاب رسول الله ﷺ يومٌ أشدُّ منه ، غطَّوا رؤوسَهم ولهم خنين [1] .

وفي هذا الحديث دليل على عظيم خوفه من الله تعالى ، وكثرة بكائه من خشية الله تعالى .

ومما جاء في عظيم خوفه من الله تعالى :

ما ورد عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ في بيتي ، وكان بيده سواك ، فدعا وصيفة [2] ـ له أو لها ـ حتى استبان الغضب في وجهه [3] وخرجت أم سلمة إلى الحُجُرات فوجدت الوصيفة تلعب ببَهْمة [4] .

فقالت أم سلمة : ألا أراكِ تلعبين بهذه البَهْمة ورسولُ الله ﷺ يدعوكِ ؟ .

فقالت : والذي بعثكَ بالحق ما سمعتكَ .

فقال رسول الله ﷺ : « لولا خشيةُ القَوَد ـ أي : القصاص يوم القيامة ـ لأوجعتُكِ بهذا السواك » [5] .

---

(١) قال الحافظ المنذري بعد ما أورد تلك الأحاديث : الخنين بفتح الخاء المعجمة بعدها نون هو البكاء مع غُنة بانتشار الصوت من الأنف . اهـ .

(٢) امرأة مملوكة .

(٣) لاشتغالها في اللعب ، ولم تجب دعوته ﷺ .

(٤) ولد الضأن الصغير .

(٥) قال في (الترغيب) : رواه أحمد بأسانيد أحدها جيد ـ واللفظ له ـ ورواه الطبراني بنحوه .

خشوعه ﷺ لله تعالى
وبكاؤه من خشية الله تعالى

كان رسول الله ﷺ دائمَ الخشوع والانكسار والتواضع لربه تعالى ، في سائر مواقفه الكريمة ومشاهده العظيمة ، في صلواته وسائر عباداته ، وسائر شؤوناته وقضاياه : من الخطب والمواعظ والفتوحات ، وسائر أحواله ﷺ .

وقد بلغ من خشوعه ﷺ في صلاته أنه سُمع لجوفه أزيز كأزيز المِرْجَل :

كما روى النسائي عن مطرِّف عن أبيه رضي الله عنه قال : (رأيت رسول الله ﷺ يصلي ولجوفه أزيزٌ كأزيز المرجل)[1] .

وفي رواية ابن خزيمة : قال : (ولصدره ﷺ أزيز الرحى) .

وفي رواية أبي داود عن مطرِّف عن أبيه قال : (رأيت رسول الله ﷺ يصلي وفي صدره أزيز كأزيز الرحى من البكاء) .

وروى ابن خزيمة في (صحيحه) عن علي كرم الله تعالى وجهه قال : (ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد ، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم ، إلا رسول الله ﷺ تحت شجرة يصلي ويبكي ، حتى أصبح ﷺ) .

---

(١) المرجل هو القِدْر ، والأزيز هو الصوت . قال الحافظ المنذري : يعني أن لجوفه خنيناً كصوت غليان القدر إذا اشتد . اهـ .

ولما دخل مكة يوم الفتح دخلها خاشعاً لربه تعالى ، وكان على مشهد عظيم من الملأ الحاضر :

روى أبو يعلى والحاكم بسند جيد قوي عن أنس رضي الله عنه قال : (لما دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح استشرفه الناس ، فوضع رأسَه على رَحْله متخشِّعاً) .

وفي رواية البيهقي عن أنس قال : (دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح وذَقَنُه على راحلته متخشعاً) .

وفي رواية الواقدي عن أبي هريرة رضي الله عنه : (دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح حتى وقف بذي طوى وتوسَّط الناس ، وإن عُثْنونه ـ العثنون : اللحية ـ ليمَسُّ وسط رحله أو يقرب منها ، تواضعاً لله تعالى حين رأى ما رأى من فتح الله وكثرة المسلمين ـ ثم قال : « اللهم لا عيشَ إلا عيشُ الآخرة ») .

ومن ذلك : خشوعه ﷺ وبكاؤه في توجّهه إلى الله تعالى ، ملحّاً بالدعاء ، مستغرقاً في الرجاء :

روى الإمام مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : (تلا رسول الله ﷺ : ﴿ ربِّ إنّهن أضللْنَ كثيراً من الناس ، فمن تبعني فإنه مني ، ومن عصاني فإنك غفور رحيم ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إنْ تعذبْهم فإنهم عبادك وإن تغفرْ لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ .

فرفع ﷺ يديه وقال : « اللهم أُمتي أمتي » وبكى .

فقال الله عز وجل : يا جبريل إذهبْ إلى محمد ـ وربُّك أعلم ـ فاسْأله : ما يُبكيه ؟

فأتاه جبريل فسأله ، فأخبره بما قال ـ وهو أعلم ـ

فقال الله تعالى : يا جبريل إذهبْ إلى محمد فقل له : إنا سنُرضيك في أمتك ولا نسوؤك) .